معاذ الألوسي في "إيبروف دارتيست"

وجـــوه غـريبـة تتـوسّـــل الإلفـــة

وحدة من الرؤوس.

طوطم.

ليست المرة الاولى التي يعرض فيها العراقي معاذ الالوسي في بيروت. فقبل "ايبروف دارتيست" حيث تعلّق لوحاته منذ مساء الثلثاء الفائت، اقام معرضاً في "غاليري ٥٠ × ٧٠" عام ١٩٩١ وفي "مسرح المدينة" عام ١٩٩٦. اما باعماله الهندسية المعمارية فعرض عام ١٩٧١ في "غاليري كونتاكت".

احدى وستون لوحة تحت عنوان "الوطّان" تنتظر الذوّاقة ومعارف الفنان في بيروت. مجموعة كبيرة من الوجوه الخاطفة، تدور في آفاق متعددة المناخ، بينما من هو عار في ملامحه المهزوزة، ومن يطلب عبر قافلة من الوجوه متعمداً الاختفاء خلف نظرة تجميلية تقيه مواجهة العيون الفضولية الوقحة. كأن الفنان يرغب في ايصال رسالة داخلية لا تأبه لنقاطها التعريفية بل على العكس تتستر كي لا يبقى منها سوى الاطار الذي يحدد وجودها، مكتفية عبر المظهر المسرحي المقنّع ببعث معاناتها الداخلية وفي تحفظ ملموس.

تلك "الرؤوس" كما يسميها الألوسي تطرح تساؤلات انما لا تطلب اجوبة مباشرة. فعندما يخرج المتلقي من نقطة جاذبيتها، يستعيدها في ذهنه ويتبين له عندئذ انه كان امام نماذج بشرية تحافظ على حميمياتها لكنها تمثل حيوات متعددة ومتنوعة. ولكلٍ منها قصته وبؤسه ومأساته. وحين جمع الفنان تلك الوجوه في اشكال مرمزة حيناً، وفي هيئات أكثر وضوحاً حيناً آخر، او في وحدات متماسكة، أعطى انطباعاً بأن المعروض هو مختارات من لقطات سينمائية سريعة شاء القدر ان يجمعها في موقع وزمن متطابقين.

معاذ الألوسي.

قام الفنان العراقي بتطوير وتحديث بعض الأساطير وعالجها كما في كل اعماله ، في اسلوب تجسيدي وفي تقنية متشابهة ان في وضع المادة اللونية المعجنة على القماش ومزجها وفلشها، او في تراكم الكتل كلّما تجاهل الواقع وألّف حركات ترادية لخلق جو من الدوار المهزوز الذي يلازم الحركة اللولبية لاجزاء مقصودة من اللوحات. تسري داخل اللوحة شعاعات صغيرة متسربلة تشق طريقها في صعوبة نحو الضوء. فالمناخ لدى الألوسي قاتم ومحموم ولا يفسح في المجال امام الارتعاشات اللونية الشفافة بل يستمر في تعجينها حتى تبدو سميكة وغارقة في تدرجات لونية متعددة ومتلاحقة. صحيح انه يستخدم الكثير من الألوان الشرقية الصاخبة لكنه لا يدعها تستكين، بل يلبدها باضافات مضاعفة من التماوجات المختلفة. والجدير بالذكر ان اللوحات أياً يكن عنوانها وموضوعها، تترك لدى المتلقي نوعاً من الانزعاج والحيرة. عزلة الاشخاص، ضياع النظرات، غياب الفم احياناً، او العيون، يساهم في توتير الاعصاب، ودفع المتفرج الى البحث عما تبفيه. هل هي حقاً رؤوس أو عساها تدفع الناس الى طرح اسئلة حول انفسهم في محاولة لتخفيف الآلام الموجودة فيها؟

قد يكون المعرض من المعارض القليلة التي تحضنا على العودة، مع المعرفة الأكيدة بأن الزيارة الثانية لن تبدّل شيئاً لناحية المناخ القابض على النفس، بل قد تساهم في فتح الابواب الموصدة امامنا لندخل الى ذاتية اولئك الغرباء الذي ينادوننا للتعارف، وربما لخلق الإلفة.

لور غريب